تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك] رواه الإمام أحمد وأهل السنن وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق ا D على عباده من الصلوات والزكوات والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك فأمر ا D بأدائها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد ا بن السائب عن زاذان عن عبد ا بن مسعود قال : إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قتل في سبيل ا فيقال : أد أمانتك فيقول فأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم فيهوي إليها فيحملها على عاتقه قال : فتنزل عن عاتقه فيهوي على أثرها أبد الابدين قال زاذان : فأتيت البراء فحدثته فقال : صدق أخي : { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الاية قال : هي مبهمة للبر والفاجر وقال محمد بن الحنفية : هي مسجلة للبر والفاجر وقال أبو العالية الأمانة ما أمروا به ونهوا عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال أبي بن كعب : من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها وقال الربيع بن أنس : هي من الأمانات فيما بينك وبين الناس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } قال : قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء يعني يوم العيد وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الاية نزلت في شأن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد ا بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري حاجب الكعبة المعظمة وهو ابن عم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأما عمه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فكان معه لواء المشركين يوم أحد وقتل يومئذ كافرا وإنما نبهنا على هذا النسب لأن كثيرا من المفسرين قد يشتبه عليه هذا بهذا وسبب نزولها فيه لما أخذ منه رسول ا صلى ا عليه وسلّم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه وقال محمد بن إسحاق في غزوة الفتح :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد ا بن عبد ا بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم لما نزل بمكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس في المسجد قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول صلى ا عليه وسلّم قام على باب الكعبة فقال [لا إله إلا ا وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج] وذكر بقية الحديث في خطبه النبي صلى ا عليه وسلّم يومئذ إلى أن قال : ثم جلس رسول ا صلى ا عليه وسلّم في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول ا اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى ا عليك فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [أين عثمان بن طلحة ؟] فدعي له فقال له [هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر] قال ابن جرير : حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن ابن جريج في الاية قال : نزلت في عثمان بن طلحة قبض منه رسول ا صلى ا عليه وسلّم مفتاح الكعبة فدخل في البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الاية { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } الاية فدعا عثمان إليه فدفع إليه المفتاح قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم من الكعبة وهو يتلو هذه الاية { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا الزنجي بن خالد عن الزهري قال : دفعه إليه وقال : أعينوه وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله D { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } قال : لما فتح رسول ا صلى ا عليه وسلّم مكة دعا عثمان بن طلحة فلما أتاه قال [أرني المفتاح] فأتاه به فلما بسط يده إليه قام إليه العباس فقال : يا رسول ا بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [أرني المفتاح يا عثمان] فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده ثم قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [يا عثمان إن كنت تؤمن با واليوم الاخر فهاتني المفتاح] فقال : هاك بأمانة ا قال فقام رسول ا صلى ا عليه وسلّم ففتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم E معه قداح يستقسم بها فقال رسول ا A [ما للمشركين قاتلهم ا وما شأن إبراهيم وشأن القداح] ثم دعا بجفنة فيها ماء فأخذ ماء فغمسه فيه ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة فألزقه في حائط الكعبة ثم قال : [يا أيها الناس هذه القبلة] قال : ثم خرج رسول ا A فطاف في البيت شوطا أو شوطين ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برد المفتاح ثم قال رسول ا A { إن ا يأمركم أن تؤدوا

الأمانات إلى أهلها } حتى فرغ من الاية وهذا من المشهورات أن هذه الاية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أو لا فحكمها عام ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية : هي للبر والفاجر أي هي أمر لكل أحد وقوله : { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل } أمر منه تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ولهذا قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب : إن هذه الاية إنما نزلت في الأمراء يعني الحكام بين الناس وفي الحديث [إن ا مع الحاكم ما لم يجر فإذا جار وكله ا إلى نفسه] وفي الأثر [عدل يوم كعبادة أربعين سنة] وقوله : { إن ا نعما يعظكم به } أي يأمركم به من أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة وقوله تعالى : { إن ا كان سميعا بصيرا } أي سميعا لأقوالكم بصيرا بأفعالكم كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد ا بن بكير حدثنا عبد ا بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال : رأيت رسول ا A وهو يقري هذه الاية { سميعا بصيرا } يقول : بكل شيء بصير وقد قال ابن أبي حاتم : أخبرنا يحيى بن عبدك القزويني أنبأنا المقري يعني أبا عبد الرحمن عبد ا بن يزيد حدثنا حرملة يعني ابن عمران التجيبي المصري حدثني أبو يونس سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الاية { إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } إلى قوله : { إن ا نعما يعظكم به إن ا كان سميعا بصيرا } ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول ا يقرؤها ويضع إصبعيه قال أبو زكريا : وصفه لنا المقري ووضع أبو زكريا إبهامه اليمنى على عينه اليمنى والتي تليها على الأذن اليمنى وأرانا فقال : هكذا وهكذا رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وابن مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن المقري بإسناده نحوه وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليم بن جبير